التَّارِيخُ: 26.01.2024

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

اَللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ.

رَسَائِلُ مِنْ سُورَةِ المُلْكِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَفَاضِلُ!

وَفِي خُطْبَةِ هَذَا الأُسْبُوعِ سَنَتَحَدَّثُ عَنْ سُورَةِ المُلْكِ وَالَّتِي نَعْرِفُهَا بِ " تَبَارَكَ"، وَهِيَ السُّورَةُ السَّابِعَةُ وَالسِّتُّونَ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ. وَسَنَتَذَكَّرُ مَرَّةً أُخْرَى رَسَائِلَ هَذِهِ السُّورَةِ الَّتِي كَانَ يَقْرَؤُهَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ النَّوْمِ[1].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعِزَّاءُ!

سُورَةُ المُلْكِ بَيَانٌ يُخْبِرُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ المَالِكُ الوَحِيدُ لِلأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَجَمِيعِ الخَلْقِ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الآيَةِ الأُولَى مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ: **"تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"**[2]. رَبُّنَا مَالِكُ المُلْكِ يُعْطِي المُلْكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَأْخُذُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ لَدَيْهِ السُّلْطَةُ المُطْلَقَةُ. وَاجِبُنَا هُوَ الاِسْتِسْلَامُ لِقُدْرَةِ رَبِّنَا وَأَنْ نَعِيشَ حَيَاتَنَا وَنَحْنُ مُدْرِكِينَ أَنَّنَا بِحَاجَةٍ دَائِمًا إِلَى مُسَاعَدَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَغُفْرَانِهِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامُ!

سُورَةُ المُلْكِ بَيَانٌ أَنَّ الدُّنْيَا الفَانِيَةَ دَارُ اِبْتِلَاءٍ، وَجَاءَ فِي الآيَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ السُّورَةِ: **"الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ"**[3]. وَكَمَا يُفْهَمُ مِنَ الآيَةِ فَإِنَّ مَجِيئَنَا إِلَى الدُّنْيَا وَخُرُوجَنَا مِنَ الدُّنْيَا بَعْدَ اِنْتِهَاءِ أَجَلِنَا هُوَ مِنْ مُتَطَلَّبَاتِ الاِخْتِبَارِ. فَالصِّحَّةُ وَالمَرَضُ كِلَاهُمَا اِخْتِبَارٌ وَكَذَلِكَ الأَفْرَاحُ وَالأَحْزَانُ هِيَ اِخْتِبَارَاتٌ. الشَّيْءُ المُهِمُّ هُوَ التَّغَلُّبُ عَلَى كُلِّ هَذِهِ الاِخْتِبَارَاتِ بِالإِيمَانِ وَالوَعْيِ وَالثَّبَاتِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَفَاضِلُ!

تُعَلِّمُنَا سُورَةُ المُلْكِ أَنَّ خَلْقَ الكَوْنِ وَعَمَلَهُ فِي تَوَازُنٍ فَرِيدٍ يُشِيرُ إِلَى وُجُودِ رَبِّنَا وَوَحْدَانِيَّتِهِ. وَإِنَّهُ يُحَذِّرُ الْكُفَّارَ الَّذِينَ لَا يَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَةِ رَبِّنَا مِنْ عِقَابٍ شَدِيدٍ. إِنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ يُذَبِّحُونَ المُسْلِمِينَ اليَوْمَ وَيَتْرُكُونَهُمْ جِيَاعًا وَعِطَاشًا لَنْ يَنْجُوا مِنَ الذُّلِّ فِي الدُّنْيَا وَالجَحِيمِ فِي الآخِرَةِ. الشَّيْءُ الوَحِيدُ الَّذِي سَيَقُولُونَهُ بِأَسَفٍ شَدِيدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ هُوَ: "وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ" . وَلَكِنَّ رَبَّنَا لَا يُكَلِّمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا مُقِيمًا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعِزَّاءُ!

كَمَا تُبَشِّرُ سُورَةُ المُلْكِ بِأَنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا مِنَ اللَّهِ. فَيَجِبُ عَلَى المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الحُصُولَ عَلَى هَذِهِ البَشَائِرِ أَنْ يَخَافُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا يَجِبُ. وَأَنْ يَمْتَثِلُوا لِأَوَامِرِهِ تَمَامًا وَيَتَجَنَّبُوا نَوَاهِيَهِ وَيَعْتَنِقُونَ الأَخْلَاقَ الإِسْلَامِيَّةَ. فَأُولَئِكَ المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ الوُقُوفَ مَكْتُوفِي الأَيْدِي وَمُشَاهَدَةَ صَرَخَاتِ المَظْلُومِينَ. وَيُعَبِّرُونَ عَنْ رُدُودِ أَفْعَالِهِمُ المَشْرُوعَةِ عَلَى اضْطِهَادِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ المَظْلُومَةِ، وَخَاصَّةً سُكَّانَ غَزَّةَ، الَّذِينَ يُكَافِحُونَ الحَرْبَ مِنْ جِهَةٍ وَالجُوعَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. فَإِنَّهُمْ يُوَسِّعُونَ المُقَاطَعَةَ بِمَا يَكْفِي لِمَنْعِ الظَّالِمِينَ. وَلَا يَنْسَوْا المُؤْمِنِينَ مِنْ دُعَاءِهِمْ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعِزَّاءُ!

تُخْبِرُنَا سُورَةُ المُلْكِ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ كُلَّ كَلَامِنَا وَكُلَّ مَا فِي قُلُوبِنَا، سَوَاءً أَخْفَيْنَاهَا أَوْ قُلْنَاهَا. وَاجِبُنَا هُوَ اِسْتِخْدَامُ أَيْدِينَا وَأَلْسِنَتِنَا وَعُقُولِنَا وَقُلُوبِنَا بِطُرُقٍ يَرْضَى بِهَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ. وَالاِبْتِعَادُ عَنْ كُلِّ أَنْوَاعِ الشَّرِّ، وَنَشْرِ الخَيْرِ وَالإِحْسَانِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الأَرْضِ، وَإِعْدَادَ أَنْفُسِنَا لِيَوْمِ الحِسَابِ.

وَكَمَا تُذَكِّرُنَا سُورَةُ المُلْكِ أَيْضًا بِالنِّعَمِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَلَيْنَا. وَلَقَدْ سَخَّرَ الأَرْضَ لَنَا لِنَعِيشَ فِيهَا. وَرَزَقَنَا بِكُلِّ لُقْمَةٍ نَأْكُلُهَا، وَبِكُلِّ قَطْرَةِ مَاءٍ نَشْرَبُهَا. فَلَقَدْ اِسْتَأْمَنَنَا عَلَى قُلُوبِنَا حَتَّى نَفْهَمَ الحَقَّ، وَأَعْيُنِنَا حَتَّى نَرَى الحَقَّ، وَآذَانِنَا حَتَّى نَسْمَعَ الحَقَّ. فَوَاجِبُنَا هُوَ أَنْ نَشْكُرَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ.

فَطُوبَى لِلَّذِينَ يَعْكِسُونَ رَسَائِلَ سُورَةِ المُلْكِ فِي حَيَاتِهِمْ. وَطُوبَى لِلَّذِينَ يَسْعَوْنَ جَاهِدِينَ لِيُكَوِّنُوا المُؤْمِنَ الَّذِي يُرِيدُهُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ. وَطُوبَى لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَنَالُونَ رِضَى اللَّهِ تَعَالَى بِأَدَاءِ عَمَلِهِمْ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ وَدِقَّةٍ.

وَأَخْتِمُ خُطْبَتِي بِالدُّعَاءِ التَّالِي لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ المَصِيرُ"**[4].

---

[1] التِّرْمِذِي، كِتَابُ فَضْلِ القُرْآنِ، 9.

[2] سُورَة المُلْكِ، 67 / 1.

[3] سُورَة المُلْكِ، 67/ 2.

[4] التِّرْمِذِي، كِتَابُ الدَّعْوَةِ، 13.